. @ 401 @

وقوله في هذه الآية الكريمة : { فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْماً } قيل أمرت أن تقول ذلك باللفظ . وقيل أمرت أن تقوله بالإشارة . وكونها أمرت أن تقوله باللفظ هو مذهب الجمهور ؛ كما قاله القرطبي وأبو حيان ، وهو ظاهر الآية الكريمة ؛ لأن ظاهر القول في قوله تعالى : { فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ } أنه قول باللسان . واستدل من قال : إنها أمرت أن تقول ذلك بالإشارة بأنها لو قالته باللفظ أفسدت نذرها الذي نذرته ألا تكلم اليوم إنسياً ، فإذا قالت لإنسي بلسانها إني نذرت للرحمن صوماً فقد كلمت ذلك الإنسي فأفسدت نذرها . واختار هذا القول الأخير لدلالة الآية عليه ابن كثير رحمه ا ، قال في تفسير هذه الآية { فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً } المراد بهذا القول الإشاءة إليه بذلك لا أن المراد القول اللفظي لئلا ينافي { فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً } وأجاب المخالفون عن هذا بأن المعنى { فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً } قوله : { فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً } فقد رأيت كلام العلماء في الآية . وإن القول الأول يدل عليه ظاهر السياق . وإن الثاني يدل عليه قوله : { فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً } لأنه يدل على نفي الكلام للإنسي مطلقاً . قال أبو حيان في البحر : وقوله (إنسياً) لأنها كانت تكلم الملائكة . ومعنى كلامه أن قوله (إنسياً) له مفهوم مخالفة ، أي بخلاف غير الإنسي كالملائكة فإني أكلمه . والذي يظهر لي أنه لم يرد في الكلام إخراج المفهوم عن حكم المنطوق ، وإنما المراد شمول نفي الكلام كل إنسان كائناً من كان . .

مسألة .

اعلم أنه على هذا القول الذي اختاره ابن كثير أن المراد بقوله { فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْماً } أي قولي ذلك بالإشارة يدل على أن الإشارة تنزل منزلة الكلام ، لأنها في هذه الآية سميت قولاً على هذا الوجه من التفسير . وسمع في كلام العرب كثيراً إطلاق الكلام على الإشارة ، كقوله : فَقُولِى إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْماً } أي قولي ذلك بالإشارة يدل على أن الإشارة تنزل منزلة الكلام ، لأنها في هذه الآية سميت قولاً على هذا الوجه من التفسير . وسمع في كلام العرب كثيراً إطلاق الكلام على الإشارة ، كقوله : % (إذا كلمتني بالعيون الفواتر % رددت عليها بالدموع البوادر) % .

وسنذكر هنا إن شاء ا تعالى ما يدل من النصوص على أن الإشارة المفهمة تنزل منزلة

الكلام ، وما يدل من النصوص على أنها ليست كالكلام ، وأقوال العلماء في ذلك . اعلم أنه دلت أدلة على قيام الإشارة المفهمة مقام الكلام ، وجاءت أدلة أخرى يفهم